

وحدة الأمة الإسلامية واسسها ومعوقاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

وحدة الأمة الإسلامية واسسها ومعوقاتها

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد وعلى آله وصحبه وبعد ...

فإن دين الإسلام هو دين الأخوة ودين الوحدة، يأمر المسلمين بان يكونوا كتلة واحدة متلاحمة بعيدين عن التفرق والاختلاف لا تعرف العداوة إلى قلوبهم طريقا ولا الأحقاد التاريخية ولا الرعونة العنصرية إلى ضمائرهم سبيلا. فإن أية أمة أرادت أن تصعد نحو العلى فواجبها الأول هو أن تتحد وتتساند لأن الوحدة تورث العزة والكرامة وتورث القوة والسؤدد، وإن أية أمة اختلفت فيما بينها فعاقبتها الضعف والهوان ولا يمكن أن تتقدم إلى الأمام بل تنهوى إلى أسفل الدرجات.

قال تعالى: " واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعدادا فآلف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفاخرة من النار فأنقذكم منها " (سورة آل عمران : 103)

وقال رسول الله (ص): " آمركم بخمس بالجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد في سبيل الله ومن فارق الجماعة قيد شبر فهو من جثيجهنم وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم "

نعم يجب ان يتحدوا فيما بينهم، وإلا فيكونون عرضة للزوال تذهب بهم رياح التفرقة وأعاصير الاختلاف إلى مكان سحيق.

إن الإيمان يستدعي توحيد قلوب المؤمنين وتوحيد صفوفهم ونبذ الخلاف ويستدعي أن تكون أفعالهم وأقوالهم وفقاً لفعال وأقوال الرسول (ص) الذي ينادى بالوحدة وأداء العبودية الكبرى في مسجد هذا الكون الكبير بامتثال لأوامر واجتناب المناهي واصطفاف الصفوف خلفه اقتداء به كإمام قائم فيمحراب العبودية وأن لا يخالفوه في شيء من أقواله وأفعاله وأطواره ويكونون وحدة مترابطة لأن المؤمنين مأمورون بمتابعت إمامهم. نعم تتكون روابط وأواصر متعددة تربط المؤمنين بعضهم ببعض فخالقهم واحد ومربيهم واحد ومعبودهم واحد.. ونبيلهم واحد وكتابهم واحد وقبلتهم واحدة. وهذه الروابط المتعددة الكثيرة تستدعي أن يكونوا متحدين ومتراصين غير متفرقين وإلا لفقدوا قوتهم وذهبت ريحهم.

قال تعالى: "ولا تنازاعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا". الأنفال 46/

إن الإسلام ينادى الناس جميعا المؤمنين والكافرين بأنهم إخوة انحدروا من اصل واحد ومن أب واحد وأم واحدة فعليهم أن يتحدوا فيما بينهم ويتوجهوا جميعا إلى الله ويتعارفوا فيما بينهم ويتركوا النعرات العرقية والأعراف الجاهلية ويستمعوا إلى كلمة السماء:

"يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن

أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير“ حرات:13 . وقال رسول الله (ص):كلكم بنو ادم وادم خلق من تراب وقال ايضا “مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم كمثل الجسد الواحد إذا أشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى“

اسس الوحدة

لوحدة الامة الاسلامية أسس رئيسية تنبنى عليها :

الأول: الإيمان.

فالإيمان هو صلة بين العباد وبين ربهم وخالقهم. والمؤمنون بباعث هذا الإيمان متصلون بالله خالقهم ورازقهم بروابط وثيقة وخيوط متينة، ونتيجة لذلك تتكون روابط بين المؤمنين بعضهم ببعض وتحقق وحدتهم ويجتمع شملهم، يعنى أن الإيمان كما يربط المؤمنين بربهم فكذلك يربط المؤمنين بعضهم ببعض، ومن هنا يقول المولى سبحانه وتعالى: “أنما المؤمنون إخوة“ حرات:10 حيث يغذيهم ربهم جميعا على مائدة الإيمان ويداويهم بالأدوية التي هي مرصوفة في صيدلية القرآن، فكل يأخذ غذائه ودوائه من هذه المائدة ومن تلك الصيدلية ويرضع من ألبان القرآن والسنة، ولذلك نرى أن أي مؤمن إذا ما ذهب إلى أي بلد مسلم خارج بلده مهما كان نائبا وفي أي قارة كان وبأي لغة كان يتكلم وكيفما كان لون ساكنيه يحس في أعماق نفسه وكأنه يعيش في بلده وبين إخوته وأهله، فحق أن الإيمان هو أكبر رابطة تجمع المؤمنين وتشد بعضهم ببعض، وعلى المؤمنين أن يحافظوا على هذه الأخوة التي أوصى بها السماء وعلى وحدتهم وجمع شملهم.

ينادى الإسلام بأعلى صوته الناس جميعا فيقول:أيها الناس إذا كنتم أناسا تملكون من العقول ما يميزكم عن سائر العجماوات فاعملوا بمقتضى إنسانيتكم ولا تختلفوا لأنكم انحدرتم من اصل واحد، من أب واحد وأم واحدة وأنتم إخوة لا فرق بينكم، لا فرق بين ابيض وأسود ولا بين العرب والعجم فكلكم متساوون تساوى أسنان المشط! إلا أن هناك فارقا واحدا يجعل إحدى كفتي الميزان عالية والأخرى سافلة وهو التقوى أى امتثال الأوامر واجتناب المناهى. يقول تعالى: “إن أكرمكم عند الله اتقاكم ”

الثاني: التعبد.

إن الله سبحانه وتعالى يأمرنا بأن نتعبد بشتى العبادات ومنها عبادة الصلاة والصوم والزكاة والحج التي هي المقاصد الاساسية للإسلام والتي تريد من المتعبدین بها أن يكونوا متحدین فيها بينهم ومجتمعين. يأمرنا بأن نصلی في اليوم والليلة خمس صلوات جماعة لا فرادي ينادى المنادى لها كل يوم خمس مرات فيجتمع المسلمون في بيت من بيوت الله استجابة لهذه الدعوة ويقفون صفوفا متراسين وراء الإمام يقرؤون بأم الكتاب فيثنون على الله بالحمد والثناء ويقرون جميعا بأنهم يعبدون الله وحده ولا يعبدون غيره ويستعينونه ولا يستعينون غيره ويتضرعون إليه بأن يهديهم إلى الصراط المستقيم. وهذه العبادة السامية هي عبادة يومية.

ويأمرنا بأن نؤدي صلاة الجمعة جماعة في الأسبوع مرة بجمع اكبر وحشد أوفر فنستمع أولا إلى الخطيب الذي يدعو الناس إلى الله وعبادته ثم بعد ذلك نصلی ركعتين صلاة الجمعة وهذه العبادة هي عبادة أسبوعية.

ويأمرنا بأن نصلی صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى في السنة مرة بجمع أعظم من

الجموع التي ذكرناها فيجتمع الناس في المساجد ويصلون ويتبادلون التهاني ويتزاورون فيما بينهم ويتصالحون وتذهب الإحن وتنطفئ نار الحقد والعداوة. وكل هذه العبادات هي عبادات محلية.

ويأمرنا الإسلام بان نؤدي عبادة الحج كسائر الأمم فهي عبادة قديمة تعبد بها الأنبياء من قبل و تعبد بها أيضا نبينا. فيأمر المسلمين المستطيعين بان يجتمعوا من كل صوب من مشارق الأرض ومغاربها في رحاب مكة المكرمة وعرفة وضواحيها. فيعبدون ربهم بجموعهم الهائلة ويتضرعون إليه حتى يغفر ذنوبهم ويعفو عن سيئاتهم ويتعارفوا فيما بينهم ويحققوا الوحدة المنشودة. وهذه العبادة هي عبادة عالمية.

ويأمرنا بان نصوم في السنة شهرا كاملا شهر رمضان فنمسك معا ونفطرمعا فنمسك عن الخطايا والآثام ونغسل أرواحنا وقلوبنا بماء التوبة والندم ونصوم النهار ونصلي بالليل صلاة القيام يشترك في هذه العبادة جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ويحقق وحدتهم ويزيدهم تماسكا وتساندا.

ويأمرنا بالزكاة التي هي صلة المسلمين صلة بين الأغنياء والفقراء والتهيئ قنطرة الإسلام يغيث المسلم أخاه المسلم بالعبور عليها فتقوى العلاقة بينهم ويسود جو الحب والإخاء فالمجتمع الاسلام ولا شك أن هذه العبادات التي سردناها هي عبادات اجتماعية تؤلف بين قلوب المؤمنين وتوحدهم.

الثالث: الحب في الله والتوادم.

إن الإسلام يأمر المؤمنين بان يتحابوا في الله ويتراحموا فيما بينهم. قال تعالى:

“رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِأَخِيئِنَّا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ”

فإذا يجب على المؤمن أن يحب أخاه المؤمن ويحب له ما يحب لنفسه وأن لا يكن له العداوة والحقد وان يدعو ويتضرع إلى الله بان لا يجعل في قلبه غلا للذين آمنوا، لأنه لا يمكن للمرء أن يكون مؤمنا حقا إلا بان يكن للمؤمنين الحب والتوادم ويقى نفسه من العداء لهم.

يقول الرسول (ص): فوالذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أنبئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم.

فالحب والتوادم هو عماد الإيمان وغذائه يقويه ويربيه وهو عماد الوحدة ولا تتحقق الوحدة إلا بالحب والتوادم كما لا يتحقق الإيمان إلا به. وإذا تعادى المؤمنون واختلفوا فيما بينهم تفرقوا وتمزقوا شر ممزق.

قال تعالى: “ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم”.

فالحب هو من أهم أسس الوحدة لا يمكن أن تقوم على ساقها إلا به.

معوقات الوحدة

إن للوحدة معوقات كثيرة منها:

1- التعصب في المذاهب والمشارب

2- التعصب السياسي

3- التعصب القبلي والعرقي

4- بث الأعداء بذور التفرقة بين المؤمنين

5- الكفر وضعف الإيمان

نعم إن التعصب في المذاهب سواء كانت فقهية أو عقائدية أولد علي مر التاريخ عداء وحقدًا بين المسلمين وجعلهم أحزابًا متناحرة يعادى بعضهم البعض باسم الدين والعقيدة لا يقل هذا العداء عن العداء الذي هو بين أهل الإيمان وأهل الكفر. ولم ينس التاريخ الحروب التي وقعت بين المسلمين في صدر الإسلام والتي راح ضحيتها عشرات الآلاف ولا الحروب التي وقعت بين أهل السنة والخوارج وبين بعض المذاهب الفقهية ولا تطيب نفسي بان أذكرها. ونحن كثيرًا ما نقرأ بعض الكتب في مقدمتها أوفي آخرها حينما يريد المؤلف أن يبين عنوانه فيقول على سبيل المثال: أحمد بن محمد الحنفي مذهبًا الماتوريدي عقيدة النقشبندی طريقة.. حينما يقول هذا كأنه يعلن نفسه حسب اعتقاده بأنه الرجل المسلم الخالص. وكان ماعداه ممن لم يكن حائزًا لمثل هذه الأوصاف ليس لذلك.

وان التعصب السياسي الأعمى الذي جاء من الغرب إلى بعض البلاد التي تدعى الديمقراطية لهو اكبر عوامل التفرقة حيث يوقع العداوة بين صفوف المجتمع فتختلف أنديتهم وأماكن استراحتهم حتى تختلف مساجدهم فلكل فرقة مسجد وناد يخصهم ويشدد الجدل ويحتد النزاع بينهم وكل ذلك ليفوز هذا الحزب أوذلك بمقاعد الحكم أو ليكون فلان نائبًا أو وزيرًا لاغيره منغير فائدة تعود إلى احد.

وانقسام العالم الإسلامي اليوم إلى كتل ودويلات صغيرة ان هو إلا نتيجة هذا التناحر يجتهد رئيس هذه القبيلة أو تلك الطائفة بكل قواه لكي يمسك زمام الرئاسة بيده غيرآبه بوحدة المسلمين وقوتهما يريد إلا أن يكون هو الرئيس والقائد ولا تهمه وحدة الأمة ولا تماسكها. وقد زادالطين بلة جهد أعداءالإسلام والمبشرين الذين لا يألون جهدا في سبيل بث بذور التفرقة وزعزعة عقيدة عوام الناسوجعلهم جماعات متعادية وقطع الروابط التي تربط المسلمين ببعضهم ببعض كما فعل الإنكليز أثناء الحرب العالمية الأولى. وكما تفعل أمريكا الآن في كثيرمن الأقطار الإسلامية.

فعلى المسلمين أن يستيقظوا من سباتهم العميق ويستمعوا إلى صوت الحق صوت السماء القائل: **“واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا / ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم”**.

وما أحسن ما قاله الشاعر في مرثية الأندلس بصدد النكبة التي أصابت ذلك القطر الغالي:

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم و انتموا يا عباد الله إخوان

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ان كان في القلب اسلام و إيمان

وبهذه المناسبة أريد أن أقدم مثالاً يبين أن الخير كل الخير والقوة إنما يكمنان في الوحدة وان الهوان والضعف إنما يكونان في التفرقة: إن الدولة السلجوقية أوان شئت قلت بقية الدولة العباسية بعدما ضعف امرها وانقسمت إلى إمارات ودويلات متناحرة يحارب البعض البعض ويسفك بعضها دم البعض انتهزت الدول

الصليبية هذه الحالة المخزية فرصة لغزو البلاد الإسلامية لاسيما بلاد الشام وفلسطين والأناضول واستمرت الغزوات المتتالية بعد الاستيلاء على فلسطين وحواليها إلى أن نظم القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي جيوشاً جرارة وصار يحارب هؤلاء الغزاة المعتدين إلّا أن أخرجهم من بلاد المسلمين وردهم على عقبيهم. ثم بعد ردهة من الزمن تكونت الدولة العثمانية ووجدت بين الإمارات في الأناضول وجهزت جيوشاً حاشدة وصارت تحارب هؤلاء الصليبيين في قعر دارهم حتى استولت تقريباً على نصف أراضى أوروبا وجعلت منها إقطاعاً إسلامية يتعالى من المساجد والمناظر التي أقامت فيها صوت الحق صوت الأذان في كل مكان منها واستمر ذلك مئات السنين وكان كل ذلك بفضل الوحدة والتساند.

وان التعصب العرقي لهو من أكبر العوائق التي تحول بين وحدة المسلمين. انك ترى أن الذي يتعصب لقومه يرى أن قومه أوعرقه أفضل وأعلا شأنًا من عرق غيره.

يا أخي المسلم بماذا تفتخر بعرقك وما الفرق بينك وبين غيرك فكلكم ينو آدم وآدم خلق من تراب.

وانك إذا ما نظرت إلى أصلك القريب فترى أن أصلك كغيرك إنما هو من منى يمنى قال تعالى: **"ألم يك نطفة من منى ينمى"**

فماذا هذا التفاخر وماذا هذا التعالي؛ ولتعلم أن الذي يعلي بك هو إنسانيتك وإيمانك. فإذا ما كنت مؤمناً حقاً فمقامك أعلى وشأنك أسمى. قال تعالى: **"إن أكرمكم عند الله اتقاكم"** وإلا فلا قيمة لك ولا وزن يقول الرسول الكريم: **"ليس منا من دعا إلى عصبية، ليس منا من قاتل على عصبية، ليس منا من مات على عصبية"**.

فكما ترى أن الرسول (ص) يحذر المسلمين من دعوى العصبية ومندعوى الجاهلية. فانه يؤدي إلى التفرقة والتمزق ويؤدي إلى الاضمحلال

والعلاج الوحيد لوحدة الأمة هو الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله.

والاقتداء بالسلف الصالح والابتعاد عن الفتن.

واخيرا اقول ان الواجب على المسلمين ان تكون لهم جامعة تجمعهم وتلم شتات امرهم وتجعل منهم كتلة واحدة على اختلاف اقطارها وبلدانها والوانها ولغاتها وان يكون كل قطر من اقطارها المترامية الاطراف مستقلا استقلالاً ذاتياً، تحكمه قوانين تليق به وباعرافه وعاداته ومصالحه التي لا تكون مناوئة للثوابت التي جاء بها الاسلام.

المأتمر الاسلامي الموجود اليوم يمكن ان يكون نواتا لهذه الجامعة ولكنه بوضعه الحالي ليس بالدرجة المطلوبة فانه لم يتمكن الى الان من سد اى خلل او ثغرة من الثغرات التي نخرت البدن الاسلامي

و لنلقى النظر الى الاتحاد الذي كونته الولايات المتحدة المنسوجة من اقوام وامم مختلفة والى الاتحاد الاوروبي الذي كون من امم متناحرة ومتعادية فيما بينها الى الامس القريب ولنلق النظر على ذلك حتى نعتبر ونؤدي الواجب علينا.

واذا لم تتحقق هذه الوحدة فستستمر الامم الاسلامية فى انحطاتها وتضعفها وستداعى عليها الاعداء كما تداعى الاكلة على قصعتها.

خليل كونج

